اللغة المالطية لهجة عربية كتبت بحروف لاتينية

الأستاذ / احسان محمد جعفر

تخاطب سكان جزيرة مالطة والجزر الملحقة بها غودش وكومينو و كومينوتو (335 الف نسمة) فى العصور القديمة واوائل العصور الوسطى بلغات عديدة لعل من اشهرها الفينيقية والبونية «القرطاجية»، وآخر لغة سامية انتقلت اليها كانت هى اللغة العربية متمثلة فى لهجة من اللهجات العامية المغربية السائدة فى شمال افريقيا ، وذلك عندما استولى عليها صاحب افريقيا « تونس » ابو الغرانيق محمد بن الاغلب سنة 255 هـ .

ومما يشعر بانتشار اللغة العربية وآدابها فى (مالطة) لعهد الاغالبة ما نجده فى تضاعيف بعض المصادر العربية وما أورده المؤرخون ، ومن ذلك الحكاية التالية التى تدل على مدى ازدهار الشعر العربى فى تلك الجزيرة اذ أن ملك مالطة العربى صنع له بعض مهندسى بلده تمثال جارية يتعرف بها أوقات الصلاة ، وكانت ترمى ببنادق على الصنج «قصاع لعبد الله بن السمنطى المالطى ، وكانت له براعة فى الآبنوس» ، فقال ابو القاسم بن رمضان احد شعرائها، لعبد الله بن السمنطى المالطى ، وكانت له براعة فى صناعة الشعر ، اجز هذا المصراع :

فقال له :

«جارية ترمى الصنج» بها القلوب تبتهج

كان من احكمها الى السماء قد عرج

وطالع الافلاك عن سر البروج والدرج

غير انه فى اواخر القرن الخامس الهجرى « 1072 — 1091 م » نجح (روجر) النورماندى فى الاستيلاء على مالطة بعد ان انتزع صقلية من العرب المسلمين، لكن النورمانديين لم يحاربوا اللغة العربية التى بقيت لفترة طويلة حية . لذلك يرى بعض علماء اللغات أن اللغة المالطية مشتقة من لهجة العامة فى المغرب العربى، بينما يرى آخرون أنها تمت بصلة وشيجة الى اللغة البونية ، وممن قال بهذا الراى «ويليام ولككس» الذى نشر سنة 1926 كتابا بالانكليزية جعل عنوانه «سورية ومصر وشمال افريقيا ومالطة تتكلم البونية لا العربية». غير أن « اسرائيل ولفنستون» فى كتابه « تاريخ اللغات السامية» يؤكد أصلها العربى

وقد احيطت هذه اللغة بظروف تختلف كل الاختلاف عن الظروف التى احاطت بسائر اللهجات العربية الاخرى فسلكت فى تطورها طريقا

يختلف كل الاختلاف عن طريق اخواتها ؛ ويرجع سبب ذلك الى انعزالها عن الوطن العربى وانتشارها فى قطر مسيحى وكثرة احتكاكها باللغة الايطالية المجاورة لها ، وخضوع مالطة لحكم الانكليز وقتا طويلا ، ولاقرآن يرجع المالطيون بها اليه ، ولا معجمات يصححون الفاظها عليه ، فأصبحت رطانة مشوهة بما دخل عليها من التحريف والتبديل ، وتأثرت بالعديد من اللغات الاوربية كالفرنسية والالمانية فضلا عن الايطالية ، فانتقلت اليها مفردات كثيرة من هذه اللغات وأصبحت خليطا بنسبة التسعة اعشار من الفاظها من العربية والعشر الباقى من اللغة الايطالية وعلى الاخص اللهجة الصقلية وباقى اللغات المذكورة ، فتألف من مجموع ذلك (برج بابل) حقيقى من اللغات حتى أن الكلمة الواحدة تتألف أحيانا من أصلين احدهما عربى والآخر مستعار من احدى اللغات الاوربية ، ومن ذلك على سبيل المثال كلمة «ليبرانا» اى نجنا وخلصنا ، فهى مؤلفة من الفعل الفرنسى Libérer بمعنى حرر أو خلص ، والضمير العربى لجماعة المتكلمين «نا» .

ولا تزال اللغة المالطية على الرغم من ذلك تحتفظ بكثير من خصائص اللهجات المغربية كإمالة الالف المتوسطة فى معظم الكلمات ، غير ان احمد فارس الشدياق يرى فى الفصل الذى تحدث فيه عن لغة مالطة فى كتابه «الواسطة فى احوال مالطة» ان فى كتابه «الواسطة فى احوال مالطة» ان فى المالطية عبارات عربية دينية تمت بصلة الى لهجة المشارقة مما لا يفهمه أهل المغرب .

والمالطيون يلفظون الغين اينما وقعت عينا والخاء حاء ، والفلاحون منهم يلفظون القاف همزة ويشمون الالف فى نحو قال وباع الضمة ، وينطقون بالضاد دالا وبالطاء تاء ، ولا يلفظون العين اذا كانت متطرفة أصلا فيقولون «تلا» اى طلع و «سما» اى سمع ، ويقال انهم كانوا فى القديم يلفظون الثاء على حقها ، وهم ينطقون بالجيم نطق السوريين واللبنانيين الا فى قولهم «جهى» فانهم يلفظونها بجيم قاهرية ، وهم يزيدون الشين بعد النفى كما فى الدارجة المصرية ، ويكسرون حرف المضارعة ، ويجعلون الظرف خبرا مقدما والنكرة مبتدأ مؤخرا ، واداة التعريف عندهم مكسورة والضمير غير ظاهر ، فانهم يتلفظون به كالواو .

أما كتابتهم فبالحرف اللاتينى ، وقد تم لهم ذلك فى القرن التاسع عشر ، وتذكر بعض المصادر انهم بقوا يكتبون بحروف عربية كوفية حتى سنة 1173 م، وقد ادخلوا على الحروف اللاتينية التى يصطنعونها اصطلاحات مخصوصة لتصوير بعض المقاطع ، الا أن هجاءهم يختلف كثيرا عن الهجاء العربى ، فربما ضموا كلمتين فى هجاء واحد وربما قسموا الكلمة الى هجائين تبعا لما يقتضيه اللفظ دون التركيب مما يدل على أن أصل الكلمات قد ضاع عندهم بالمرة ، ويختلف ترتيب الحروف عندهم عما عليه فى العربية ، فالحرف الثانى عندهم بعد الالف هو العين .

والمالطيون شديدوا التمسك بلغتهم القومية التى يطلقون عليها «مالطن» ، ولا يسمحون باهمالها ولا يرضون باستبدالها وينص دستورهم على كونها لغة البلاد الرسمية جنبا الى جنب مع الانكليزية التى ورثوها منذ زمن الاحتلال ، وقد وضعوا لها مؤخرا قواعد ومعجمات حديثة ، وهم يطبعون بها الكتب والصحف والمجلات وتدون بها الرسائل وتستخدم فى جميع الاغراض التى تستخدم فيها لغات الكتابة، ومن أوائل الصحف التى أصدروها وتحمل اسماء عربية محض «الصليب» و «النحلة» و «الحمار» . . .

ومن المالطيين من ينظم « الشعر » ، ويقال له بلغتهم « التقبيل » ، ومن قول احدهم :

ين حنينا ساير نسافر ساير نسافر حدكش ميعى
مور وهيا بالسلامة الله يظمك فى المحبة تيعى

قوله ين بمعنى أنا وحنينا بمعنى حبيب ، منادى محذوف اداة النداء ، ومن قواعدهم أن المنادى اذا كان عظيما أو مهما يدخلون عليه اداة النداء من الايطالية فيقولون «أو مولاى» واذا كان عاديا ادخلوا عليه اداة النداء من العربية فيقولون «ياتفاح ! ياعنب».وقوله ساير نسافر هو بمثابة القول فى الدارجة السورية والمصرية «رايح أسافر» والنون فى نسافر علامة المفرد المتكلم لا الجمع فانه «نسافرو» ، وهى لهجة اهل المغرب ، وما حرف نفي و «ناجد» بمعنى اخذ والشين فى «ناحدكش» لازمة عندهم بعد النفى والاستفهام كما فى الدارجة المصرية ، «ميعى» أصلها معى .
و « مور » فعل أمر من «مار» اى ذهب وهو فى اللغة ،

و « هيا » اسم فعل بمعنى اقبل ، و « يظمك » اى يضمك ، وتيعى محرفة من متاع ، واهـل المغـرب يدخلونها فى الاضافة كثيرا ·

وفيما يلى بعض العبارات التى تدل على القربى بين العربية والمالطية ، ففى احـدى الصحف المالطية نشر الاعلان الذى نقتطف منـه الجمـل التالية بعد كتابتها بحروف عربية « فى سترادا رويال نمبر 32 فى بير كركارا انفتحت سكول جـديدة تات تفصيل كبار رجال واثاث ، داس كل اللى يريدوا يتعلموا يفصلوا . . » وتحرير المعنى « فى الشارع الملكى رقم 32 فى بيركركارا (اسم مدينة) افتتحت مدرسة جديدة للتفصيل للرجال والاناث ، فاذا كل الذين . . الخ · » ويقول المالطيون « الساعة ثمانية دكوارتو وانى تسمعوا الانفرماسيونى» وترجمتها العربية « الساعة الثامنة ، والآن تسمعون الاخبار » ، ويلفظ المالطيون كلمة « انى » اى الآن كما يلفظها اهالى الجنوب فى لبنان ·

والمتأمل فيما آلت اليه اللغـة المالطية التـى انعزلت عن بقية اخواتها اللهجات العربيـة ، وكتبت بالحروف اللاتينية يرى اى خطر يتهدد اللغة العربية فيما اذا سايرنا « دعاة التيسير » الذين تارة يدعـون الى اقتباس الحروف اللاتينية وتارة اخـرى يدعـون الى اسقاط الاعراب . . الخ ·

ومما قاله احد المستشرقين بهـذا الصدد «ان كتبت اللغة العربية بالحروف اللاتينية صارت كاللغة المالطية بعد جيلين» ·

من مصادر البحث

انتشـار الخط العربى ـــ عبد الفتاح عبادة

تاريخ اللغات السامية ـــ اسرائيل ولفنستـون

تاريخ الصحافة العربية ـــ فليب طرزى

الرحلات ـــ محمد الخضر حسين

من حاضر اللغة العربية ـــ سعيد الافغانى

فقه اللغة ـــ على عبد الواحد وافى

فى الادب الحديث ـــ عمر الدسوقى

الواسطة فى احـوال مالطة ـــ احمد فـارس الشدياق ·

*